# استدعاء الشخصيات التراثية في شعر عبد الله عيسى لحيلح

# *The Recall of the Traditional Personalities in the poetry of Abdullah Issa Laheleh*

**ط.د محمد لزهر بلول***

جامعة العربي التبسي –تبسة–،

مخبر الدراسات الإنسانية والأدبية

*mohammed.belloul@univ-tebessa.dz*

**د. بوجمعة بوحفص**

جامعة العربي التبسي –تبسة–،

مخبر الدراسات الإنسانية والأدبية

*boudjemaa.bouhafs@univ-tebessa.dz*

تاريخ الاستلام: 2023/01/02 تاريخ القبول: 2023/05/18 النشر: 2023/05/31

**ملخص:**

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن مدى توظيف الشاعر عبد الله عيسى لحيلح للشّخصيات التراثية، بمختلف جوانبها الدينية والأدبية والتاريخية والأسطورية، حيث أصبحت ظاهرة استدعاء الشخصيات التراثية السّمة البارزة التي تطبع الشعر العربي المعاصر، والشعر الجزائري المعاصر ليس بمنأى عمّا يحصل من تطورات في الشعر العربي، فقد عرف الشعر الجزائري المعاصر تطورا ملحوظا وشهد استدعاءً للشخصيات التراثية، وهذه الدراسة ستتناول أحد الشعراء الجزائريين الذين كان لهم باع طويل في استدعاء الشخصيات التراثية ألا وهو الشاعر عبد الله عيسى لحيلح.

**الكلمات المفتاحية:** شعر؛ معاصر؛ شخصيات تراثية؛ عيسى لحيلح؛ شعر جزائري.

**Abstract**:

This study seeks to reveal how did the poet Abdullah Issa Laheleh employ of the traditional personalities, in its various aspects of historical, literary, where the phenomenon of the recall of personalities became a feature characterized contemporary arabic poetry, and Algerian poetry was not an exception to this contemporary poetic development at the level of tools employed in poetic formation in the presentation of poetic and creative experience, and the Algerian poetry was not an exception to this contemporary poetic the traditional personalities the poet Abdullah Issa Laheleh .

***KeyWords***: Poetry; Contemporary; Traditional Personalities; Issa Laheleh; Algerian poetry.

*محمد لزهر بلول

**1- المقدمة:**

تُعدّ ظاهرة استدعاء التراث في الشعر العربي المعاصر خاصيّة فريدة امتازت بها جلّ الدواوين الشعرية المعاصرة، فقد استفحلت هذه الظاهرة في الآونة الأخيرة؛ فلا تكاد تقرأ ديوانا شعريا معاصرا لأحد الشعراء المعاصرين إلاّ وتجده قد رجع إلى إرثه القديم، وتشدّ انتباهك هذه الخاصية ألا وهي خاصية استدعاء التراث.

وتعد علاقة الشعر بالتراث علاقة وطيدة وعريقة، فهي من تحدّد وجهة الشاعر وتثبت أصالته وعراقته والصّلة التي تربطه بأمّته، كما أنّها السبيل الأسمى للإلهام لدى الشاعر، فعودة الشاعر المعاصر إلى هذا المنبع هو عودته إلى الأصالة؛ لأنه هو المنبع الأصيل الذي ينهل منه الشاعر تجربته الشعرية المعاصرة.

وقد عرف الشعر الجزائري ظاهرة استدعاء التراث؛ وذلك عن طريق ما تمّ توظيفه من طرائق متعددة، بحيث وظفّ الشخصيات التراثية الدينية والأدبية والتاريخية والأسطورية البارزة، وبذلك أضحت ظاهرة استدعاء الشخصيات التراثية ملمحا بارزا في الشعر الجزائري المعاصر.

ونجد الشاعر عبد الله عيسى لحيلح، واحدا من بين الشعراء الجزائريين الذين عرفوا كيف ينهلون من التراث بطريقة تروي عطش الباحثين والقرّاء، بإبداع يجمع بين المعاصرة وروح الأصالة الكامنة في التراث، لاسيما في شقّه الديني والأدبي والتاريخي والأسطوري، ولهذا شكّل نموذجا مميّزا على صعيد التوظيف التراثي.

**أهمية الدراسة:**

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تسعى للكشف عن استدعاء التراث، والدّور البارز الذي لعبه في العملية الإبداعية في أعمال الشاعر الجزائري المعاصر عبد الله عيسى لحيلح، بحيث أدرك هذا الأخير أهمية استدعاء الشخصيات التراثية في الجانب الفني والفكري، مستخرجا بذلك طاقاته الكامنة لاستغلالها في حمل تجربته الشعرية المعاصرة.

**إشكالية الدراسة:**

إنّ السؤال الجوهري الذي يطرح نفسه بقوة في هذا الصدد، هو: ما مدى استحضار التراث عند عيسى لحيلح؟ وبتعبير آخر كيف استدعى عيسى لحيلح الشخصيات التراثية في أشعاره؟

كلّ هاته الأسئلة وغيرها، سنحاول الولوج إليها ونعرّج عليها بالتفصيل الدقيق، ونحاول تسليط الضوء عليها فيما يأتي في متن هذه الدراسة.

**وتهدف هذه الدراسة إلى:**

- مقاربة ظاهرة استدعاء التراث في تجربة عيسى لحيلح الشعرية، وبيان دورها في خدمة تلك التجربة.
- بيان تجليات التراث الديني والأدبي والتاريخي والأسطوري في شعر عيسى لحيلح وكذا تبيين أهمية استدعائه في شعره.
- الكشف عن أهمية استدعاء الشخصيات التراثية في شعر عيسى لحيلح.

**منهجية الدراسة:**

إنّ مقتضى هذه الدراسة ومتطلباتها استوجبت على الباحث أن يكون منهجها منهجا وصفيا تحليليا، تماشيا وما استدعته هذه الدراسة.

**2. استدعاء الشخصيات التراثية في شعر عبد الله عيسى لحيلح:**

المقصود باستدعاء الشخصيات التراثية في الشعر المعاصر هو "استخدامها تعبيريا لحمل بُعْداً من أبعاد تجربة الشاعر المعاصر، أي أنها تصبح وسيلة تعبير وإيحاء في يد الشاعر يعبّر من خلالها عن رؤياه المعاصرة" (زايد، 1997، صفحة 13).

وإذا ما تمعّنا النّظر في أشعار عبد الله عيسى لحيلح إلاّ وقد وجدناها تحفل باستدعاء الشخصيات التراثية، وهذا يعدّ من العلامات الفارقة في التجربة الشعرية الجزائرية المعاصرة التي أضفت على النصوص والتجارب أبعادا جديدة، كما أدرك الشاعر عبد الله عيسى لحيلح على غرار الشعراء الجزائريين المعاصرين؛ أنّ التعامل مع التراث ينبغي أن يستخدم استخداما فنيا إيحائيا، وأن يوظف توظيفا رمزيا، وذلك "... لحمل الأبعاد المعاصرة للرؤية الشعرية، بحيث يسقطها الشاعر على معطيات التراث، فتصبح هذه المعطيات معطيات تراثية معاصرة..." (زايد، 1997، صفحة 204).

مما سبق نلاحظ أنّ اعتماد الشاعر الجزائري المعاصر على استدعاء الشخصيات التراثية ينمّ على قدرته في استحضار التراث القديم، كما ينمّ على أصالته وتشبثه بتراث أمته العريق، ويعدّ استدعاء الشخصيات التراثية وسيلة رامزة ووسيلة إيحائية يعبر من خلالها الشاعر الجزائري المعاصر عن قضايا أمته العربية وعلى قضاياه المعاصرة، فالشخصيات التراثية تحمل أبعاداً ودلالات شتّى، فالشاعر حينما يستدعي هذه الشخصيات إنما ليجسّد بها تجربته الشعرية ورؤيا تتوافق مع روح العصر الذي يعيش فيه.

وقد راح الشاعر الجزائري المعاصر يستدعي الشخصيات التراثية خدمة لتجربته الشعرية، وكذا لما وجد في هذه التقانة من رموز وإيحاءات وأقنعة يعبر بها عن واقعه المعاصر، والشاعر عبد الله عيسى لحيلح واحد من الشعراء المعاصرين الذين أفادوا كثيرا من التراث (خاصة من الشخصيات التراثية) أيّما إفادة، ولذا نجد الحضور القوي للشخصيات التراثية في كثير من نصوصه الشعرية، فقد عبّر من خلالها عن مواقفه وتجاربه النفسية والشعرية، كما أثرى بهذه التقانة (تقانة استدعاء الشخصيات التراثية) إبداعه الشعري، مما أعطى لشعره بها أبعادا شتى ودلالات كثيرة، وقد أبان بها عن أصالة شعره وموقفه من الموروث القديم.

**1.2 استدعاء الشخصيات الدينية:**

إنّ التراث الديني كان مصدراً سخيّاً من مصادر الإلهام الشعري لدى معظم الشعراء المعاصرين، والشاعر عبد الله عيسى لحيلح واحد من بين الشعراء المعاصرين الذين استفادوا من التراث الديني أيّما استفادة، ويقول الدكتور علي عشري زايد في هذا الصّدد: "وإذا كان الكتاب المقدّس هو المصدر الأساسي الذي استمدّ منه الأدباء شخصياتهم ونماذجهم، فإنّ عدداً كبيراً منهم قد تأثّر ببعض المصادر الإسلامية، وفي مقدّمتها القرآن الكريم، حيث استمدّوا من هذه المصادر الإسلامية الكثير من الموضوعات والشخصيات التي كانت محوراً لأعمال أدبيّة عظيمة" (زايد، 1997، صفحة 75).

ولا غرو والحال هذه، في أن يكون التراث الديني مصدرا هاما من مصادر الإلهام لدى أغلب الشعراء المعاصرين، ويضيف الدكتور علي عشري زايد قائلا: "ليس غريبا أيضاً أن يكون الموروث الديني مصدراً أساسياً من المصادر التي عكف عليها شعراؤنا المعاصرون، واستمدوا منها شخصيات تراثية، عبّروا من خلالها عن بعض الجوانب من تجاربهم الخاصة" (زايد، 1997، صفحة 76).

ونجد الحضور القوي للشخصيات الدينية في شعر عبد الله عيسى لحيلح، فقد استدعى الشخصيات الدينية في العديد من قصائده الشعرية، ومن بين ما استدعاه الشاعر من شخصيات دينية نجد أنّ الشاعر نَظَمَ قصيدة كاملة عن الرسول الأعظم (محمد صلى الله عليه وسلم)، وقد سمّى هذه القصيدة بـ: "دفاعا عن رسول الله"، يقول في أحد أبياتها يصف الفضائل التي تجمَّل بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم:

**حَازَ الفَضَائِلَ وَالشَّمَائِلَ كُلَّهَا فَإِلَيْهِ فِيهَا تَنْتَهِي الأَنْسَابُ**

**هُوَ حَرَّرَ الدُّنْيَا وَدَكَّ عُرُوشَهَا وَتَهَاوتِ الأصْنَامُ وَالأنْصَابُ** (لحيلح، وبقيت وحدك، 2018، صفحة 21).

ويقول الشاعر عبد الله عيسى لحيلح في استدعى صفات شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم في ذات القصيدة:

**وَاللهُ جَلَّ جَلَالُهُ لَهُ مَادِحٌ وَالمَدْحُ مِنْهُ صَادِقٌ وَصَوَابُ**

**<<خُلُقٌ عَظِيمٌ>>.. قَالَهَا، وَكَفَى بِهَا مَدْحًا، فَمَاذَا يَكْتُبُ الكُتَّابُ؟** (لحيلح، وبقيت وحدك، 2018، صفحة 24).

ومنه فالشاعر عبد الله عيسى لحيلح هنا، رمز إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بالأخلاق الفاضلة العظيمة وبالجود والكرم وحسن المعاملة، فهو حاز على جميع الفضائل، فالشاعر متيّم بحب رسول الله، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على تشبّع الشاعر بالثقافة الإسلامية وتشرّبه لهذا المنبع الإسلامي الصّفو منذ نعومة أظافره، كما يدلّ على المحبّة الصادقة التي يكنّها الشاعر للرسول وللدّين الإسلامي الحنيف الذي جاء به سيّد البشرية وخاتم الأنبياء والمرسلين.

ويقول الشاعر عبد الله عيسى لحيلح يستحضر الشخصيات الدينية، وهذه المرّة استدعى شخصيات الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام، إذ يقول في قصيدة "معلقة الجيل الأخضر":

**قُدُمًا عَلَى سُنَنِ الرَّسُولِ مُحَمَّدِ حَتَّى تَرَى الأَقْصَى السَّلِيبَ مُحَرَّرَا**

**قُدُمًا عَلَى سُنَنِ الرَّسُولِ مُحَمّدِ وَازْأَرْ.. فَكَمْ خَافَ العِدَا أَنْ تَزْأَرَا!**

**يَا فِتْيَةَ الكَهْفِ الجَدِيدِ اسْتَيْقِظُوا وَلْتُوقِظُوا كُلَّ النِّيَامِ القُصَّرَا**

**كِسْرَى تَصَدَّعَ عَرْشُهُ وَالتَّاجُ فَوْ قَ سُرَاقَةَ وَغَداً سَنَرْجُمُ قَيْصَرَا**

**اليَوْمَ بَدْرٌ لِلنِّدَا.. وَغَداً رَدَى فَتَرَقَّبُوا جِيَفَ المَنَافِي خَيْبَرَا**

**وَتَرَقَّبُوا خَيْلَ الرَّسُولِ مُحَمَّدٌ مَا مَاتَ مَنْ وُلِدَ الحُسَيْنَ وَحَيْدَرَا** (لحيلح، وبقيت وحدك، 2018، الصفحات 34-35).

فالشاعر يرمز إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام بالجيل الأخضر، فهم من حرروا البلاد العربية من الجور والظلم والطغيان، فكسرى تصدّع عرشه، والتاج فوق سراقة، وقيصر الروم سيُغْلَب وينهزم مع هذا الجيل الأخضر الذي انتصر في غزوة بدر وغزة خيبر، والشاعر يصدح عاليا بانتصار راية الإسلام وأنها ستبقى عالية مدى الأزمان، إذ يقول في الأخير يتوعّد المشركين والطغاة بأنّ الرسول وصحابته لم يموتوا أبدا، إذ يقول (ما مات من ولد الحسين وحيدرا).

كما نجد ذكر الشاعر لشخصية عيسى عليه السلام، ومن أمثلة ما قاله الشاعر عبد الله عيسى لحيلح في شخصية عيسى عليه السلام في قصيدة "النقاب الأسود":

**فَفِي صَوْتِهَا سَالَ الرَّبِيعُ مُنَغَّمَا وَفِي خَدِّهَا وَرْدُ الرَّبِيعِ ذَبِيحُ**

**وَأَمَّا مُحَيَّاهَا فَمَحيي كَأَنَّمَا بِهِ نَسِيَ السِّر الجَمِيلُ المسِيحُ!** (لحيلح، وبقيت وحدك، 2018، الصفحات 8-9).

فشخصية عيسى عليه السلام مستدعاه بكثرة في شعر عبد الله عيسى لحيلح فهو ملقب بالمسيح، وهو رمز للمقاومة والفداء والتضحية، وقد تمّ استدعاء هاته الشخصية من خلال ما توحّدت مع شخصية الشاعر، فالشاعر عبد الله عيسى لحيلح شكّلت تجربته الشعرية وما يقاسيه من ألم وما يكابده من ويلات وآلام مع تجربة المسيح عليه السلام.

وقد استدعى الشاعر عيسى لحيلح الشخصيات الدينية أكثر من مرة وفي أكثر من ديوان، ويقول في استدعاء شخصية النبي عيسى عليه السلام وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك نجد في قصيدة "ما لم يقله طرفة بن العبد" إذ يقول:

**يَفِيضُ عَلَى الدُّنْيَا طُيُوبًا تَعَطَّرَتْ بِأَنْفَاسِ "عِيسَى" وَابْتِسَامَةِ "أَحْمَدِ"** (لحيلح، سبع معلقات للجاهلية الأخيرة، 1997، صفحة 19).

نلاحظ مما سبق، ومن خلال هذا البيت الشعري لعبد الله عيسى لحيلح ذكره لشخصيّتين من شخصيات الأنبياء وهما: "عيسى" و"أحمد"، وعادة ما يرمز بالأنبياء للمعاناة، وذلك نظرا للقساوة والمعاناة التي عانوها من قبل الأمم التي بعثوا إليها، كما يرمز لهم بالصبر كالنبي أيوب عليه السلام.

وبالتالي فقد استدعى الشاعر شخصية النبي عيسى عليه السلام لكي يرمز بها إلى المعاناة التي يعانيها الشاعر، وقد استحضر معاناة نبي الله عيسى الذي عانى كثيرا منذ صغره عندما اتّهموا أمه بالفاحشة، فالشاعر يجد نفسه شبيها بعيسى في معاناته وما يكابده من قسوة المعاملة، وقد استدعى شخصية الرسول الأعظم خاتم النبيين محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وهو النور المبين الذي أضاء الكون نورا، فالنبي محمد جاء به الشاعر رمزا للهداية بعد الظلال.

كما نلمس استدعاء للشخصيات الدينية في النص الشعري عند الشاعر عبد الله عيسى لحيلح، وذلك من خلال قصيدته (منافقة)، حيث نسجل استدعاءه لشخصية نبي الله يوسف –عليه السلام– وهذا من خلال قوله:

**قُوْلِي...**
**لِمَاذَا كَذَبْتِ عَلَى مَامَا**
**وَجِئْتِ عَلَى قَمِيصِ بِدَمٍ كَذِبٍ عَلَامَة**
**وَقُلْتِ: أَكَلَهُ الذِّئْب ...؟**
**وَعَلَّلْتِهَا بِالصَّبْرِ الجَمِيلِ وَبِالسِّلْوَانِ**
**وَأَنْتِ التِّي أَلْقَيْتِنِي فِي جُبِّ الجُبِّ** (لحيلح، غفا الحرفان، 1986، الصفحات 15-16).

فالشاعر استدعى قصة سيدنا يوسف –عليه السلام– "لتتفاعل وتستجيب مع تجربته الحياتية وما يعانيه الشاعر فيها من غربة وعزلة، فتشابه حالة الشاعر هنا بحالة نبي الله يوسف –عليه السلام– هو ما أجبر الشاعر على استدعاء هاته القصة القرآنية، كما تساير أحلامه الخاصة في تغيير واقعه، فاستعاد هذه القصة وما عاناه يوسف مع إخوته من ذلّ العبودية وافتراء امرأة العزيز" (مباركي، 2003، صفحة 181). لأن سيدنا يوسف عاش الغربة بعيدا عن أسرته في بيت زليخة أولا ثم في السجن ثانيا، وهكذا وجد الشاعر نفسه بعيدا عن أهله وأسرته كسيدنا يوسف عليه السلام ومنه نرى تشابها واضحا وجليا بين القصين قصة الشاعر وقصة النبي يوسف.

كما استدعى عيسى لحيلح من الشخصيات الدينية شخصية نوح عليه السلام، إذ يقول في قصيدة "إلى مفتي الجزيرة:"

**أَتَفْتِي لِمَنْ يَقْتُلُونَ، وَتَفْتِي –عَدِمْتُكَ شَيْخًا– لِمَنْ يُقْتَلُونْ!**
**وَتَجْعَلُ هَذَا مِنْ أَهْلِ الشِّمَالِ، وَتَجْعَلُ ذَاكَ مِنْ أَهْلِ اليَمِينْ!**
**وَتُرْكِبُ مَنْ شِئْتَ فِي فُلْكِ نُوحٍ وَتَجْعَلُ مَنْ شِئْتَ مِنَ المُغْرَقِينْ** (لحيلح، وبقيت وحدك، 2018، صفحة 76).

يتبيّن لنا مما سبق، استدعاء الشاعر عبد الله عيسى لحيلح لشخصية النبي نوح عليه السلام وسفينة النبي نوح التي أنجاه بها الله من قومه. فالشاعر استدعى شخصية "نوح عليه السلام" فهو رمز للثبات والصبر على الحق والمثابرة وعلى الإصرار والعزيمة، "فقد وجد نبيُّ الله أنّ كلّ من حوله يعبدون التماثيل، فبدأ يدعو الناس إلى دين الله وترك عبادة الأصنام، ولكن الشيطان أسرع لكبار القوم يوسوس لهم أنّ دين نوح –عليه السلام– واصل بين كل الناس، فبدأ كبار القوم بمحاربته ولكن نوح –عليه السلام– واصل الدعوة ولم يخشى تهديدهم طيلة القرون الطوال، ولما ازداد كفرهم وجبروتهم أرسل الله عليهم الطوفان وأمر نبيه أن يصنع السفينة لتكون له ومن اتبعه طوق نجاة أثناء الطوفان الذي دمّر الأرض كليا ولم ينجوا منه أحد" (عوض الله، 1980، الصفحات 8-9).

### 2.2 استدعاء الشخصيات الأدبية:

إنّ استدعاء الشاعر المعاصر للشخصيات الأدبية "يجعل نصّه الأدبي ذا قيمة توثيقية، يكتسب بحضورها دليلا محكما، وبرهانا مفحما على كبرياء الأمة التّليد وحاضرها المجيد، أو حالات انكسارها الحضاري، ومدى انعكاسه على الواقع المعاصر" (نمر، 2004، صفحة 117).

كما أنّ الشاعر المعاصر يستدعي الشخصيات التراثية، وذلك من أجل أن "يستلهم أوجه التشابه بين الماضي وواقع العصر وظروفه، إن سلبا أو إيجابا، وهو في هذا يطلق العنان لخياله لكي يكشف عن صدي صوت الجماعة وصدي نفسه في إطار الحقيقية التاريخية العامة التي يبحث عنها، أو الموضوعات التاريخية التي تشكل حضورا بارزا في تاريخ الأمة" (نمر، 2004، صفحة 117).

ومن أمثلة ما وظّفه الشاعر لحيلح من تراث أدبي نجد استدعاؤه لشخصية أبي الطيب المتنبي، لأنّ المتنبي كان يضرب به وبأشعاره المثل، بحيث كان من أعظم الشعراء العرب في العصر العباسي، وراح يزاحم الشعراء في عصره آنذاك؛ ويمدح سيف الدولة الحمداني، وتجسّد بذلك حضوره القوي في الخطاب الشعري المعاصر بإلحاح شديد لما يحمله من طموح وكبرياء ومن تنوع شعري يعبّر به عن عالم إنساني فيّاض بالمشاعر والأبعاد الإنسانية. فنجد الشاعر عبد الله عيسى لحيلح قد وجد في شخصية المتنبي ما يعبر عن تجربته، وذلك بجعله شاهدا على عصره يشتكي له ما آل إليه حال الإنسان اليوم بعد ابتعاده عن شريعته وتعاليم دينه الحنيف واتباعه لمظاهر حضارة الغرب وما انجرّ عن كل هذا الوضع من انسلاخ الإنسان جريًا وراء مظاهر كاذبة، حيث يقول:

**أَبَا الطَّيِّبْ.. الأَبْقَارُ تُرْضِعُنَا ضَرْعَنَا عِجَافٌ.. عِجَافٌ.. لَا رَأَيْتَ زَمَانِيَا**

**أَبَا الطَّيِّبْ.. الأَشْعَارُ تَكْلَى حَزِيْنَة وَلَمْ تَجِدْ الأَشْعَارُ فِيْنَا مُوَاسِيَا**

**أَبَا الطَّيِّبْ.. الأَشْعَارُ بَاعَتْ عَفَافَهَا لِتُرْضِي دَامِي المشَفَّرِينَ وَحَافِيَا**

**أَبَا الطَّيِّبْ.. الأَيّامُ أَعْطَتْ (مَوَادِرًا) وَعَزَّ عَلَيْهَا أَنْ تُقَدِّمَ (طَائِيَا)** (لحيلح، وشم على زند قرشي، 1985، الصفحات 18-19).

من خلال الأبيات السالفة الذكر، نرى أنّ الشاعر عيسى لحيلح يستحضر شخصية أبو الطيب المتنبي، واستحضاره لهاته الشخصية إنما جاء بها ليشتكي لها أوضاع بلده وما آل إليه هذا الوطن المفدى بدماء الشهداء من ألم ومحن جراء تأزم الأوضاع الاجتماعية والانسانية، كما أنّ استدعاءه لهذا الشاعر الذي يمثل عصر الازدهار والرقي (العصر العباسي)، يشكي له يأسه في تغيير واقعه نحو الأفضل، فالشاعر عيسى لحيلح لم ير النور في هذا الواقع الذي يعيشه بل كابدته الآلام وضاق من الحزن ذرعا، فراح ينادي أبا الطيب المتنبي يشكو إليه حاله وما يعانيه من الألم والفواجع والمحن، ويتجرّع طعم الألم المرير، لذلك فهو يتطلّع نحو عالم أفضل وأرحب كما كان عصر أبو الطيب المتنبي، فاستحضار شخصية المتنبي لترمز للقوة بعدما عصفت به مصاعب الحياة وقساوتها، فهو يستنجد بشخصية أبي الطيب للذود عن حمى وطنه، والدفاع عن مصير أمته والأوضاع التي آلت إليها جراء الظروف الحالكة التي عصفت بها، ويرى عيسى لحيلح أنّ الأسباب التي جعلت الأمة تقبع فيها هي الابتعاد عن الدين الإسلامي الحنيف، وعدم التحلي بالقيم النبيلة السمحاء.

وقد نجد أيضا التراث الأدبي لدى الشاعر عيسى لحيلح، حيث نجد ذكره للشخصيات التراثية الأدبية، وهاته المرة نجد ذكره لشخصية "جميل" الشاعر جميل بن معمر، وكذا ابنة عمه "بثينة" إذ يقول الشاعر عيسى لحيلح في قصيدة "حزن" من ديوانه "رسالة في الحب"، إذ يقول:

**لِتَصَابَى وَرَمَى عَنْهُ سِنِيْنَه ..**

**أَوْ جَمِيْلٌ وَهْوَ فِي الحُبِّ شَرِيدْ**

**لَمْ يَعُدْ يَذْكُرُ شَيْئاً اسْمُهُ –قَبْل– بُثَيْنَة** (لحيلح، رسالة في الحب، 2011، صفحة 13).

يتبيّن لنا مما سبق، أنّ الشاعر عبد الله عيسى لحيلح استدعى شخصيتان مشهورتان من التراث العربي القديم، وهما (جميل، بثينة)، فاستحضار الشاعر لهذين العلمين وهاتين الشخصيتين لم يأت بهما اعتباطا أو بمحض الصّدفة، وإنما أتى بهما ليرمز بهما إلى الحب العفيف، فهما شخصيتان مشهودٌ لهما بحبّهما الشديد في العصر القديم، ولقد تغنّى جميل بن معمر في قصائده العذرية بابنة عمه بثينة، لذا فالشاعر عيسى لحيلح يوحي لنا بأنّ هذا الشاعر (جميل بن معمر الايادي) يرمز للحب العذري الذي دار بينه وبين محبوبته (بثينة)، فالشاعر لحيلح يستنبط رموزه من العصور الماضية والأزمنة الغابرة، فهو يستعمل الرموز التراثية القديمة.

ونجد استدعاء الشخصيات التراثية الأدبية عند الشاعر عبد الله عيسى لحيلح في ديوانه "رسالة في الحب"، فنجد هذا الاستدعاء في قصيدته من هذا الديوان "رسالة في الحب"، إذ يقول:

**قُلْتَ يَا حُبُّ، وَمَا زِدْتَ عَلَيْهَا:**

**إِنَّهُ كَانَ لَا يَأْتِي عَنِيدَا!**

**كَيْفَ زَهَّدْتَ <<جَمِيلاً>> فِي الغَوَانِي**

**وَبِحُبِّ الغِيْدِ أَغْرَيْتَ <<لَبِيدَا>>!؟؟** (لحيلح، رسالة في الحب، 2011، صفحة 38).

ونجد استدعاء الشخصيات التراثية وهذه المرة من خلال قصيدته "قصيدة سقطت سهوا من ديوان المجنون"، إذ يقول فيها:

**لَمْ تَمُتْ <<لَيْلَى>> وَلَكِنْ –وَيْحَ قَلْبِي– ذَابَ فِي الرُّوحِ وَفِي القَلْبِ هَوَاهَا**

**لَيْتَ أَقْدَارِي وَقَدْ سَاقَتْنِي إِلَيْهَا رَغَّبَتْنِي مِثْلَ <<لَيْلَى>> فِي سِوَاهَا** (لحيلح، رسالة في الحب، 2011، صفحة 30).

نلاحظ مما سبق، استدعاء الشخصية التراثية القديمة، والمتمثّلة في "قيس" و"ليلى"، وهو الشاعر "قيس بن الملوح" الذي أُطْلِقَ عليه بمجنون ليلى، وذلك بسبب عشقه لابنة عمه ليلى وهذه القصة من قصص الحب العذري كقصة جميل بن معمر بابنة عمه بثينة.

### 3.2 استدعاء الشخصيات التاريخية:

إنّ ظاهرة استدعاء التاريخ وتوظيف شخصياته في المنجز الأدبي الشعري لم تأتي من العدم، وإنّما يعود ذلك إلى بواعث وعوامل مختلفة منها "الإحساس بمدى غنى التراث وثرائه بالإمكانات الفنية وبالمعطيات، والنماذج معطى من معطيات التراث يرتبط دائما في وجدان الأمة بقيم روحية وفكرية ووجدانية معينة، بحيث يكفي استدعاء هذا المعطى أو ذاك من معطيات التراث لإثارة كل الإيحاءات والدلالات التي ارتبطت به في وجدان السامع تلقائيا" (زايد،

1997، صفحة 16)، فالشاعر يسعى دوما إلى الوصول إلى كيان ووجدان أمته من خلال توظيف تراثها ليؤثر على المتلقي ويستنهض فكره ووجدانه للتفاعل معه.

والشاعر عبد الله عيسى لحيلح حينما وظّف الشخصيات التاريخية في أغلب قصائده الشعرية، واستنجد بهاته الشخصيات التاريخية في جل قصائده ودواوينه الشعرية، لم يوظفها من فراغ ولم يستنجد بها اعتباطيا، وإنما جاء بها للتعبير عن مشاعره وأحاسيسه وعما ألمّ به من فواجع وما كابده من آلام، فالشاعر أحسّ الغربة بأنواعها كالغربة الروحية والغربة الاجتماعية التي عايشها وأحسها وهو بين بني جلدته وبين أبناء وطنه، فنجد الشاعر "يختار من شخصيات التاريخ ما يوافق طبيعة الأفكار والقضايا والهموم التي يريد أن ينقلها إلى المتلقي والقارئ، ومن ثم فقد انعكست طبيعة المرحلة التاريخية والحضارية التي عاشتها أمتنا في الحقبة الأخيرة، واحباط الكثير من أحلامها وخيبة أملها في الكثير مما كانت تأمل فيه الخير، وسيطرت بعض القوى الجائرة على بعض مقدراتها، والهزائم المتكررة التي حاقت بها رغم عدالة قضيتها... انعكس كل ذلك على نوعية الشخصيات التاريخية" (زايد، 1997، صفحة 120).

ومن بين ما وظفه الشاعر في الشخصيات التاريخية نجد ذلك في قصيدة "معلقة الجيل الأخضر" إذ يقول:

**لَوْلَاكَ يَاْ جِيْلَ الرِّسَالَةِ قُلْتَهَا: عَبَثٌ حَيَاتِي مَقْصِداً أَوْ مَصْدَرَا**

**بَايَعْتَ فِيْكَ شَهَامَةً وَكَرَامَةً وَرِسَـــالَةً تَأْبَى الفَنَــا وَمُنَــوَّرَا**

**بَايَعْتَ فِيْكَ الفَاتِحِيْنَ جَمِيْعُهُمْ مَنْ أَطْفَأُوا كِسْرَى المجُوسَ وَقَيْصَرَا** (لحيلح، وبقيت وحدك، 2018، صفحة 33).

فالشاعر من خلال هذه الأبيات استدعى فيها بعض الشخصيات التاريخية، ومن بين الشخصيات المستدعاة نجد (جيل الرسالة) وهم الرسول صلى الله عليه وصحبه الكرام، الذين حرروا البلدان من المشركين، كما استدعى شخصية (كسرى) ملك المجوس وشخصية (قيصر) ملك الروم.

ويقول أيضا في **"معلقة الجيل الأخضر"**:

**يَا فِتْيَةَ الكَهْفِ الجَدِيدِ اسْتَيْقِظُوا وَلْتُوْقِظُوا كُلَّ النِّيَامِ القُصَّرَا**

**كِسْرَى تَصَدَّعَ عَرْشُهُ وَالتَّاجُ فَوْ قَ سُرَاقَةَ وَغَداً سَنَرْجُمُ قَيْصَرَا** (لحيلح، وبقيت وحدك، 2018، صفحة 34).

وممّا قد وظفه الشاعر واستدعاه من الشخصيات التاريخية ما قاله في قصيدة "إلى مفتي الجزيرة" في ديوانه "وبقيت وحدك...":

**وَحَتْماً أُعِيدُ جَمَاجِمَ بُوبَغْلَةَ وَالّذِينَ بِهِمْ جَاهَدَ المعْتَدِينَ اللِّئَام**

**وَأَبْنِي لَهُمْ مَسْجِداً فِي ظِلالِ النَّخِيلِ، كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُجَازِي الكِرَامُ الكِرَام**

**أَيُرْضِيكَ يَاْ ابْنَ الجِهَادِ بَقَاءُ رِجَالٍ لَنَا فِي مَتَاحِفِهِمْ فُرْجَةً لِلطّغَامْ** (لحيلح، وبقيت وحدك، 2018، الصفحات 84-85).

من خلال ما تمّ ذكره، نرى استدعاء الشاعر لشخصيات ثورية، وهي شخصية الأبطال الذين قضوا نحبهم في سبيل هذا الوطن المفدى، ومن أمثلة هذه الشخصيات نجد شخصية البطل "بوبغلة" وشخصيات الأبطال الذين بقيت رفاتهم وجثثهم في متاحف فرنسا، فالشاعر في نفسه لوعة وندم وحسرة على بقاء جثثهم في بلد عدو لهم.

ومن جميل ما قد وظفه الشاعر من الشخصيات التراثية نجد ذلك في قصيدة "دفاعا عن رسول الله"، إذ يقول في مطلعها:

**إِنِّي هُنَا بَيْنَ الخَرَابِ خَرَابُ هَلْ لِّي بِسَاحِكِ يَاْ طُلُوعُ جَوَاْبُ**

**كَانَتْ "رَبَابٌ" حِيْنَ كُنْتُ وَ"عَزَّةٌ" يَا أَيْنَ مِنِّي "عَزَّةٌ" وَ "رَبَابُ"** (لحيلح، وبقيت وحدك، 2018، صفحة 18).

نلاحظ الرمز التاريخي قد بدى واضح للعيان ولا يجد القارئ أي عنت وأية صعوبة في استخراج هذا الرمز التاريخي، وذلك في شخصيتان من الشخصيات التراثية الإسلامية وهي شخصية "رباب" وشخصية "عزة"، وعزة هذه كانت تسكن المدينة المنوّرة، وهي أول مغنية واشتهرت بالغناء وقد سُمّيّت بعزة الميلاء، ورباب أيضا من ساكنات المدينة المنورة المشهورات بالغناء في عصر صدر الإسلام.

### 4.2 استدعاء الشخصيات الأسطورية:

لقد ضلّت الأسطورة منبعا تراثيا وموردا سخيا للشعراء، ينهلون منها مادتهم الشعرية، فهي بمثابة الأرض الخصبة لدى الشعراء المعاصرون، يجسدون عن طريق معطياتها الكثير من تجاربهم وأفكارهم ومشاعرهم مستغلين ما في لغة الأسطورة من طاقات إيحائية خارقة، ومن خيالها المرهف ينسجون رؤاهم ويعبرون بها عن واقعهم المعاصر.

ونجد استدعاء التراث الأسطوري عند الشاعر عبد الله عيسى لحيلح، وهذا حينما وظّف الشخصيات الأسطورية في شعره، ومن أهم الشخصيات الأسطورية نجد:

**استدعاء شخصية السندباد:**

وتعدّ شخصية "السندباد البحري" من أكثر شخصيات "ألف ليلة وليلة" استحواذا على اهتمام شعرائنا وشيوعا في شعرنا المعاصر حتى لا نكاد نفتح ديونا من دواوين الشعر الحديث إلا ويطالعنا وجه السندباد من خلال قصيدة أو أكثر من قصيدة، وما من شاعر معاصر إلاّ وقد اعتبر نفسه سندباداً في مرحلة من مراحل تجربته الشعرية (زايد، 1997، صفحة 165).

ونجد الشاعر عبد الله عيسى لحيلح يستدعي شخصية السندباد إذ يقول:

**هَرِمْنَا، وَصَارَ حَفِيْدُكُمْ ذَا بَنِيْنَ، وَمَازِلْتُمْ فِي الشَّبَابِ شَبَابُ!!**

**كَرِهْنَا الحَدِيْثَ عَنِ البَحْرِ وَالسِّنْدِبَادْ، لِأَنَّا نُرِيْدُ بِمِجْدَافِنَا أَنْ نَخُوْضَ العِبَابْ!** (لحيلح، وبقيت وحدك، 2018، صفحة 81).

فالشاعر في هذه الأسطر يعبّر عن معاناته وصراعه مع الحياة، فالشاعر يحس بألم ومعاناة في هذه الحياة، كقصة السندباد وهو يغوص غمار رحلاته المتعددة المليئة بالمغامرات والمتاعب، وهذا ما يعكس حالة الشاعر ووضعه الراهن الذي يشبه معاناة السندباد.

**استدعاء أسطورة "قابيل" وهابيل":**

نجد أنّ الشاعر عبد الله عيسى لحيلح يستدعي أسطورة "هابيل وقابيل"، إذ يقول في قصيدة "وبقيت وحدك في المطار":

**لَمْ يَبْقَ إِلَّا الانْتِشَارْ..**

**وَاسْفَحْ دِمَاءَكَ فِي قَوَارِيرِ الدُّجَى، وَاسْكُبْ عُيُونَكَ فِي النَّهَارْ..**

**وَإِذَا تَعَسَّرَ عَنْكَ ذَلِكَ فَانْكَسِرْ، وَكُنِ البِنَاءَ مُوَزَّعاً فِي الانْكِسَارْ..**

**وَالطَّيْرُ طَارْ..**

**وَبَكَيْتَ وَحْدَكَ فِي المَطَارْ**

**<<قَابِيلُ>> خَلْفَكَ وَالغُرَابْ** (لحيلح، وبقيت وحدك، 2018، الصفحات 52-53).

ويقول الشاعر عبد الله عيسى لحيلح أيضا يستحضر **أسطورة قابيل وهابيل**، إذ نجده يقول:

**مَأْسَاتُنَا قَلْبٌ تَعَشَّقَ وَاشْتَهَى، وَفَمٌ تَمَرَّدَ أَنْ يَبُوسْ**

**وَيَدٌ تُنَاضِلُ بِالمَنَابِرِ وَالمُنَى، وَيَدٌ تُجَاهِدُ بِالأَظَافِرِ وَالمَصَاحِفِ وَالفُؤُوسْ**

**مَأْسَاتُنَا <<قَابِيلُ>> نَحْنُ، وَنَحْنُ <<هابيل>> المُكَفَّنُ وَالغُرَابْ** (لحيلح، وبقيت وحدك، 2018، صفحة 54).

مما سبق نرى أنّ الشاعر عيسى لحيلح استدعى أسطورة قابيل وهابيل، للتعبير عن تجربة الشاعر وما كابده الشاعر من غدر وخيانة الأخوة العرب لإخوانهم في أرض فلسطين، وما يعانونه من مأساة والعرب لا يقدمون لهم يد العون، فالشاعر رمز إلى معاناة فلسطين وغدر إخوتها العرب لها بقصة غدر قابيل لأخيه هابيل، فالرمز لا يضيف شيئا للنص الشعري وإن لم يجسّد ما يقصده الشاعر بطريقة غير مباشرة، وما يلعبه هذا الرمز في خدمة التجربة الشعرية، "وبما أنّ الرمز الأسطوري، تجسيد لموقف ما أو معادل لموضوع ما؛ فإنّ هذا يتطلب اختياراً صحيحا للرموز الأسطورية المعبِّرة عن الحالة الشعورية، كما يتطلب أن تكون هذه الرموز موحية، بعيدة عن المباشرة والتراكم، يتطلبها السياقان الشعري والشعوري" (عزام، 2002، صفحة 64)

**استدعاء أسطورة المسيح:**

نرى أن الشاعر عندما يستحضر أسطورة المسيح أو صلب المسيح فهو لا يريد أن يسرد لنا قصة المسيح أو يعرضها كقصة تاريخية ضربت بالمثل في أعماق التاريخ الإنساني، ويطلب منا اجترارها شعراً، وإنما نجده يستحضرها كقصة أسطورية، يستبطن داخل هذه القصة معاناته، أو معاناة معاصريه من دعاة الحياة والحرية والإسلام (الربيحات، 2006، صفحة 41).

ومن أمثلة ما استدعاه الشاعر في أسطورة المسيح نجد في قوله:

**أَعْتَلِي صَهْوَةَ صَبْرِي وَأُبَارِي المَوْتَ بِالظُّفْرِ الجَرِيحِ**

**ثُمّ أَمْشِي حَافِياً فَوْقَ دَمِي مِثْلَ المَسِيحِ** (لحيلح، وبقيت وحدك، 2018، صفحة 45).

ممّا سبق يتبيّن لنا، أنّ الشاعر عيسى لحيلح استدعى في الأسطر الشعرية السّالفة أسطورة المسيح، وقد استدعاها الشاعر ليُعبّر عن التضحية والتحدي رغم الألم، فالمسيح يرمز إلى التضحية والتحدي.

كما أنّ الشاعر استدعى شخصية المسيح، وذلك للتعبير عن معاناته وأنّ الشاعر يعاني كثيرا وأنه يباري الموت وأنه يمشي حافيا فوق دمه، كلّ هذا يدلّ على معاناة الشاعر عبد الله عيسى لحيلح.

**3. خاتمة:**

وفي خاتمة هذه الدراسة البحثية نخلص إلى النتائج التالية:

– استخدم الشاعر آليات كثيرة في استدعائه للشخصيات التراثية، ومن بين الشخصيات المستدعاة عند الشاعر عبد الله عيسى لحيلح، الشخصيات الدينية والدبية والتاريخية والأسطورية.

– إنّ استدعاء الشخصيات التراثية لدى الشاعر يعتبر رحلة بحث كشفية عن حقيقة ما تطارد ذات شاعر، رغبة منه في حلّ مشكلات عدّة يعاني منها الشاعر كالاغتراب والحزن والألم، فاستدعاء الشاعر لشخصيات الأنبياء (عيسى عليه السلام، نوح عليه السلام، الرسول صلى الله عليه وسلم)، كلّ هاته الشخصيات استدعاها الشاعر للتعبير عن معاناته كما عاناه الأنبياء قديما في مجتمعاتهم وأممهم.

– إنّ ما طبع قصائد الشاعر عبد الله عيسى لحيلح هو استدعاؤه للشخصيات التراثية ولما تحمله هذه الشخصيات المستدعاة من دلالات كبيرة وأبعاد شتى، وقد استدعاها الشاعر لكي يُعبِّر بها عن تجربته الشعرية، وما يعانيه الشاعر من ألم وحزن، حيث عمد الشاعر إلى تكييف الشخصيات حسب المواقف الجديدة التي تعرّض لها الشاعر من أزمات ومحن.

– استطاع الشاعر عبد الله عيسى لحيلح من خلال استدعاء الشخصيات التراثية استلهام روحه عن طريق شخصيات دينية، وأدبية، وتاريخية، وأسطورية، يهدف من وراءها لإثراء تجربته الشعرية عن طريق توظيفه لرموز من التراث القديم يهدف من وراءها ربط الماضي بالحاضر.

**4. قائمة المراجع:**

– ابراهيم موسى نمر. (1 أكتوبر، 2004). توظيف الشخصيات التاريخية في الشعر العربي الفلسطيني المعاصر. مجلة عالم الفكر.

– جمال مباركي. (2003). التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر (المجلد دون طبعة). الجزائر: دار هومة.

- حامد عوض الله. (1980). كتاب مجموعة من قصص الأنبياء ونوح صاحب الطوفان (المجلد 2). بيروت، القاهرة، لبنان، مصر: دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري.
- عبد الله عيسى لحيلح. (1985). وشم على زند قرشي (المجلد 1). قسنطينة، الجزائر: دار البعث.
- عبد الله عيسى لحيلح. (1986). غفا الحرفان (المجلد 1). الجزائر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- عبد الله عيسى لحيلح. (1997). سبع معلقات للجاهلية الأخيرة (المجلد دون طبعة). الجزائر: دار الروائع للنشر والتوزيع.
- عبد الله عيسى لحيلح. (2011). رسالة في الحب (المجلد 1). سكيكدة، الجزائر: دار التقريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- عبد الله عيسى لحيلح. (2018). وبقيت وحدك (المجلد 1). سكيكدة، الجزائر: دار السناء للطباعة والنشر والتوزيع.
- علي عشري زايد. (1997). استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر (المجلد دون طبعة). القاهرة، مصر: دار الفكر العربي.
- عمر أحمد الربيحات. (2006). الأثر التوراتي في شعر محمود درويش (المجلد دون طبعة). عمان، الأردن: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.
- محمد عزام. (1 ماي، 2002). الأسطورة في الشعر السوري المعاصر. مجلة الموقف الأدبي.